دراسة الأدب العربي (١)

فى المدارس الثانوية

للأستاذ فايد العمروسى

معنى الادب — الغرض من دراسته ، المناهج ، الادب والنصوص ، الادب والمطالعة الادب والقواعد والبلاغة ، النواحى المهملة في الادب العربى ، واجب المدرس ، كلمة ختامية .

معنى الادب والغرض من دراسته :

كلنا نعرف أن الأدب هو فن التعبير بالكلام عن عالم الشعور النفسى ، أو الظواهر المحسوسة ، وهذا الكلام فى تناسقه وتآلفه كالألحان الموسيقية التى تعبر بالأصوات والتنغيم عن معنى من معانى الحياة ، وكلنا نعرف أيضا أن عالم الانسان عالمان ، عالم فى نفسه هو شعوره واحساسه ، وعالم آخر ليس فى محيط نفسه وانما هو فى المحيط الخاضع لحواسه المادية التى تنقل الصور الى حسه وشعوره فتتكيف فيهما بقوة هذا الشعور أو ذلك الاحساس

وعالم الشعور دنيا كاملة مستورة كالدنيا التى نعيش فيها ، واظهار هذه الدنيا لنا ، وتصوير بعض ظواهرها لا يكون الا بالكلام ، الكلام الذى نسميه نحن أدبا وهذا العالم المستور هو أول منبع من منابع الأدب ، بل هو أقدس منبع وأطهره وأصفاه .

---

(١) القيت بنادى دار العلوم فى ١٥ من ابريل سنة ١٩٤٣

والدنيا التى نعيش فيها بمظاهرها ومحسوساتها منبع أصيل أيضا ، ومادة لاتنفد لصناعة الأدب ان صح هذا التعبير ، ومن مظاهر عالم الشعور الصور الأدبية التى تعبر عن الألم أو السرور ، والقسوة والحنان ، والابتسام والعبوس ، والتشاؤم والتفاؤل ، أو تعبر عن طبيعة النفس من قوة أو ضعف أو عزة أو هوان ، وبالاختصار هى التى تعبر عن أثر الانفعالات النفسية بأى لون كانت وبأى كيفية تكون

ومن مظاهر العالم المحسوس الصور الأدبية التى ترسم أو تصف شيئا بعينه من صور هذا الوجود وأحداثه خيره وشره ، عظيمه وحقيره ، على أننى أنكر أن يكون لمظاهر العالم المحسوس أثر فى اخراج الصور الوصفية وما يشبهها الا اذا تبلورت هذه المظاهر فى عالم الشعور قبل كل شىء ، اللهم الا فى بضاعة الأدباء الذين لايحسون فى البحر مثلا الا المياه والامواج ، وفى الجبل الا الضخامة والارتفاع ، وفى الزهرة الا لونها وغصنها الميادا !

هذه كلمة لابد منها لنحدد على وجه الاجمال منابع فن الأدب ، أو مصادر التعبيرات الادبية على اختلاف ألوانها والتى نسميها أدبا ، وهى كلمة لابد منها لأن لها صلة وثيقة بمناهج الأدب الموضوعة والمقررة فى المدارس ، ولها صلة أخرى بمناهج النصوص المفروضة على تلاميذ المدارس ، ومنهج الأدب والنصوص كلاهما جزء من حديث هذه الليلة فى دراسة الأدب العربى

وبعد هذه الكلمة أيضا لنا أن نتساءل : ما نصيب التلاميذ من فهم معنى الأدب على ضوء هذا التمهيد ؟ وما هى الأهداف المرسومة لهم من دراسة هذا الأدب فى حدود هذا التعريف ؟ وربما أستطيع أن أوضح الجواب عن هذين السؤالين بعد أن عالجت هذه الدراسة فى المدارس الثانوية مدة وإن كانت قصيرة فى زمنها إلا أنها كافية « ومؤهلة » صاحبها للجواب

التلاميذ يدرسون الأدب فى المدارس الثانوية على أنه منهج له مبدأ ونهاية يجب الالمام به ولو من طريق الحفظ ، أقول ولو من طريق الحفظ — وإن لم يكن هناك طريق غيره — تفاؤلا بالعناصر النادرة جدا التى يجدها المدرس من حين لآخر فى جموع التلاميذ الكثيرة الذين يدرس لهم ، هذه العناصر فيها استعداد كامن لفهم

معنى الأدب ، وفى نفوسها تشوق لتلقيه ، وفى إحساسهم تهيؤ للتيقظ له والفرح به ، والدليل على أن التلاميذ يدرسون الأدب على أنه مبلغ أو قدر من الكلام عليهم استظهاره، تكالبهم على الملخصات ، وفرحهم بضغط الموضوع ذى الصفحات الكثيرة إلى صفحة واحدة أو صفحتين ، وهم فى ذلك معذورون كل العذر ، لأن طبيعة المناهج تلجئهم إلى طلب تلك المختصرات ، وطريقة التدريس ترغمهم على حب هذه المختصرات ، وروح الامتحانات ونظام وضع الأسئلة وتوزيع الدرجات على نماذج الإجابة كل أولئك آفات فى نظم دراسة الأدب فى المدارس ، وأعذار أى أعذار للتلاميذ الذين يفرحهم تشويه المناهج بالمختصرات المبتورة الجامدة ، بل الميتة التى لا ينبض فيها روح الأدب ولا ما يشبه الأدب فى شىء

هذه آفات أعرضها عليكم فى موضعها مجرد عرض على أن أتناول علاجها فى موضع آخر من هذه المحاضرة ، ويحسن فى هذا الموضع أن نشير إلى الغرض من دراسة الأدب فى المدارس الثانوية ، وأظن أن من أهداف دراسته معرفة أن التعبير الكلامى نوع من الفنون الجميلة ، وأن للكلام وظيفة أخرى اسمى وارفع من وظيفة التفاهم والمعاملة ، وأن الأدب فسحة من الطلاقة وتحرر من قيود الحقائق العلمية ومرارتها ، وآفاق فسيحة لرياضة النفوس وتهذيب الشعور وإيقاظ الوجدان والأدب فوق هذا وذاك دنيا من الجمال فلا بد أن يعيش فيها التلاميذ جزءاً من حياتهم الفكرية أو النفسية كما يعيشون جزءاً من حياتهم المادية فى الحقول والمتنزهات والأدب صور مختلفة لأنواع الجمال ، أو متحف لفنون التعبير بأشكالها المصورة لمختلف الأحاسيس ، فلو أخذ التلاميذ برفق ولين وتشويق الى هذه المتاحف لمشاهدة هذه الصور لاندفعوا اليها كالسيل المتدفق ، ولشعروا أنهم فى حاجة الى استماع دروس الأدب بشوق وتلهف كشوقهم الى مشاهدة « فلم » عجيب أو شغفهم برؤية روض أنيق ، ولو استطاع مدرس الأدب أن يقول للتلاميذ : تعالوا معى الى نزهة جميلة أتحدث اليكم فيها حديثاً شيقاً يتصل بنفوسكم ويثير مشاعركم لنجح فى تأدية مهمته كأستاذ ، ولنجح الأدب فى تأدية رسالته فى الحياه كفن جميل ، غير أننا مع الأسف الشديد نسوق التلاميذ الى حصة الأدب كالمقاول يسوق الفعلة الى

حمل جبل عال من الأحجار والتراب ، وما ذلك الجبل الا المناهج بشكلها الحالى ، المناهج المخيفة المزعجة الجاثمة على صدور التلاميذ كالأشباح السوداء ! !

وقد يتيقظ فى خواطر بعضكم اعتراض وجيه ، وهو أن التلاميذ يدرسون تاريخ الأدب لا الأدب نفسه ، وأن التلاميذ المحدودى الأدراك ليس فى استطاعتهم فهم الأدب بالتحديد الذى رسمته لكم فى أول الكلام ، والجواب . أن دراسة تاريخ الأدب — بهذه الطريقة — إحدى الآفات التى سأتعرض لها فى الكلام على المناهج أما أن مستوى التلاميذ الفكرى عاجز عن تلقى الأدب بهذا الرسم فهو ما أنفيه بكل شدة ، إذ أن الأدب كفن يتلقاه إحساس التلميذ قبل فكره ، ويتجاوب معه شعوره ووجدانه قبل أن يتيقظ عقله — إن كان سيتيقظ ، ولقد توافقون على أن الجمال فى كل شىء يثير فى الانسان — أيا كانت ثقافته ومدنيته — قواه الحسية دون أن يكون للقوة الفاحصة أو المفكرة فى هذه الاثارة أى أثر إيجابى فى أول الامر ، ولقد دلت التجارب على أن التلاميذ يطربون وينتعشون لكل كلام فيه عمق وفكر وفى البحث عن مغزاه تأمل ودقة ادراك ، وما أظنهم يستقبلون هذين البيتين وهما فى وصف مزمار قروى :

من علم الناى الحـــانى فرددها ومن أباح له مكنـــون أسرارى
فأرسل اللحن بعد اللحن منتشيا ينساب تحت الدجى كالجدول الجارى

ما أظنهم يستقبلون هذين البيتين بالروح الذى يستقبلون به

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

فقدرة التلميذ على فهم الادب كجمال ، أو على الاحساس به كفن أمر مقطوع به ، وبقى الآن أن نتساءل : هل هيأنا للتلميذ فى المناهج الاربعة ما يمكنه من هذا الفهم ؛ هذا هو السؤال الذى سنحاول الاجابة عنه فى كلامنا على المناهج .

المناهج الأربعة

أولا فى السنة الاولى : العصر الحديث هو منهج السنة الاولى ويحتوى تعريف الادب وأثر البيئة والثقافة والحكم فى الادب ، ثم التأليف والترجمة فى عصر محمد على والنهضة فى عصر اسماعيل والنثر والصحافة

وأثرها فيه ، ثم الشعر ونهضته ، وفى المنهج تراجم الشيخ محمد عبده والمنفلوطى ككاتبين ، ثم عبد الله النديم ومصطفى كامل وسعد زغلول كخطباء ، ثم البارودى وشوقى وحافظ وحفنى ناصف كشعراء العصر الحديث

هذه هى موضوعات الادب المقررة على أطفال لا يحسنون قراءة الاساليب العربية الخفيفة ، أطفال لا يعرفون غير اللعب والنط والقفز ولا يزال جو التعليم الابتدائى هو المسيطر عليهم فى ميولهم وأفكارهم وعلى فرض أن السنة الاولى لابد أن تدرس الادب فالملاحظات على منهجها ما يأتى :

(١) أثر البيئة والثقافة والحكم فى الادب موضوع اجتماعى فلسفى دقيق لا يمكن أن تستسيغه نفوس هؤلاء الاطفال ، ولا يمكن للمدرس مهما تبسط وتخفف وتنزل أن يصل فيه إلى نتيجة

(٢) النهضة فى عصر اسماعيل هى النقطة الدسمة فى العصر الحديث ، أو هى الشرارة الاولى التى طلعت فى آخر عهد الظلام ليبتدىء بها عصر الاشراق فلا ينبغى أن نضيعها فى سطور تافهة يحفظها أطفال عن ظهر قلب ، ليكونوا أبناء الجيل المثقف الذى درس النهضة الادبية الحديثة فى العصر الجديد

(٣) أضعنا فى هذا المنهج بوضعه الحالى شخصيتين عظيمتين أولاهما الامام الشيخ محمد عبده وهو زعيم من زعماء حرية الفكر ، وثانيهما المنفلوطى وهو أول كاتب عاطفى طلع علينا إبان النهضة ، ثم أضعنا زعيمين كبيرين ما كان فى مصر غيرهما حتى الآن — هما مصطفى كامل وسعد زغلول — هذه الشخصيات العظيمة ضاعت كل الضياع حين نجعلهم مواضع لدراسة الاطفال من الناحية الادبية وأولى بنا أن نجعل بعضهم موضعا لدراسة الاطفال كرمز للبطولة والوطنية ، على أن تكون دراستهم بالطريق القصصى لا من طريق كتاب تاريخ الأدب العربى !

(٤) والبارودى وشوقى وحافظ « ضاعوا فى لعبة » أو فى « شربة مية » كما يقولون . هؤلاء هم أعلام الشعر فى العصر الحديث كما يقول التاريخ ، وهؤلاء الاعلام يحرم من دراستهم جميع تلاميذ المدارس الثانوية الا تلاميذ السنة الاولى لقد

قبروا فى الاسطر القليلة التى هيئت لأن يبتلعها التلاميذ الاطفال ، ولن يعود لهؤلاء ذكر فى المرحلة الثانوية اللهم الا شوقى فانه يعود زائرا بعد غيبة طويلة سحيقة يعود فى قصيدة واحدة من قصائده لتدرس فى السنة الخامسة

فهل بعد هذا يستطيع معترض أن يقول « ان تلاميذ الجيل الحاضر لم يدرسوا أعلام الشعر فى العصر الحديث ؟

هذه ملاحظاتى على منهج الأدب للسنة الأولى على فرض اقراره ، ملاحظات عرضتها عرضا موجزاً دون تعليق كثير ، وإن فى النظر الى هذه الملاحظات مجتمعة لإشعارا بأن العصر الحديث بما فيه من انقلابات فكرية ونهضات متشابكة مع ثقافات الأمم الأخرى ، وبما فيه من عناصر جديدة دخيلة فى حياتنا الثقافية ، أقول إن العصر الحديث بهذا الوضع « ميت » ميت بطريقة التأليف فيه ، وميت لاننا نحمله أطفالا لا طاقة لهم باحتماله ، وهو العصر القريب منا أى الذى نعيش فيه ، وهو الأدب الذى يحمل سمات النهضة ويعبر عن آلامنا وآمالنا ، فيجب أن يكون التأليف فيه على نمط آخر ؛ وأن يكون دارسوه هم الشباب الناضج فى المدارس لا الإطفال الصغار ذوى الملابس الصغيرة ، واللعب الخشبية فى بعض الأحيان !

ودراسة هذا المنهج بوضعه الحالى لا تنتج لنا تلاميذ يتذوقون الادب ولا يقربون من فهمه ولا يحقق لنا شيئا من الاهداف المقصودة من دراسة الادب والتى رسمتها رسما موجزاً بأول هذا المقال. وقبل أن نغادر السنة الاولى بمنهجها الادبى يلزمنى كناقد للمناهج أن أثبت فى هذا الموضع بعض الاقتراحات الخاصة بدراسة الأدب لهذه السنة :

(١) اقترح حذف دراسة تاريخ الادب نهائيا من السنة الاولى

(٢) ان يستبدل بدراسة تاريخ الادب دراسة نصوص كثيرة لا تقل فى مجموعها عن مائة بيت من الشعر وعن ثلاثين سطراً من النثر فى العصر الحاضر ، على ان تراعى الدقة وحسن الذوق الادبى فى الاختيار

(٣) الا يقتصر الاختيار على ادب الاموات ، بل يتناول ايضا ادب الاحياء الذين يرزقون والذين لا يرزقون !

(٤) ان يدرس لهم شاعران وكاتب واحد من العصر الحديث ايضا دراسة قصصية لا دراسة تاريخ ادبى على النحو الموجود الآن

(٥) على مؤلفى الادب للمدارس ان يقوموا بتأليف قصة صغيرة لكل واحد من الثلاثة وان يضم هذه القصص الثلاث كتاب واحد يسمى « قصص الشعراء والادباء » وان يوزع هذا الكتاب على التلاميذ ، وان تزاد حصة الادب الواحدة الى حصتين فى الاسبوع !

ولعلنا بعد هذا النقد الموجز ، وبعد هذه الاقتراحات المتواضعة لمنهج السنة الاولى ان نجد فيها ما يصلح اساسا للاصلاح

ثانيا — منهج السنة الثانية :

ومنهج تاريخ الأدب فى السنة الثانية هو « الأدب العباسى فى الدور الثانى وهو دور انقسام الدولة الى إمارات ، حالة الأدب فى مصر والشام ، حالة النثر ، ترجمة ابن العميد والحريرى والقاضى الفاضل ، حركة التأليف فى عصر الأتراك ، والالمام ببعض الكتب وتاريخ أصحابها ككتاب الأغانى لأبى الفرج وصبح الأعشى للقلقشندى ، ولسان العرب لابن منظور ، والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون وخطط المقريزى ، ثم الشعر فى الشام وترجمة المتنبى وأبى العلاء ، والشعر فى الدولة الايوبية وترجمة البهاء زهير ، ثم الشعر فى عصر المماليك وترجمة ابن نباتة المصرى »

واحب أن تلاحظوا مرة أخرى أن هذا منهج الأدب للسنة الثانية ، فعلى هؤلاء الاطفال أيضا أو الغلمان لانهم يكبرون تلاميذ الفرقة الاولى بسنة واحدة دراسية عليهم أن يدرسوا عهدا من أخصب عهود الادب العربى نشاطا وإنتاجا ، وهو عهد تقسيم الدولة إلى إمارات ، ثم عليهم أن يدرسوا المتنبى وأبا العلاء أى شاعر العرب وحكيمهم وفيلسوفهم ، ثم عليهم أن يلموا بطرف كبير من حركة التأليف فى عصور ضعف اللغة ليدرسوا هم — وهم الغلمان — ابن خلدون أول عالم عربى اجتماعى وأول إشراقة من النور فى عهود الظلام ، ثم عليهم أن يعرفوا شيئا عن كتابه فى التاريخ ولا سيما مقدمته التى جاء عنها فى الكتب التى بيد التلاميذ « أنها أول بحث جامع فى علوم الاجتماع والسياسة وفلسفة التاريخ » ثم ما صبح الاعشى

هذا وما دلالته فى أفكار التلاميذ ؟ وما لسان العرب ، وما خطط المقريزى ؟ وما الغاية من تحفيظ هاته الاسماء دون أن يكون لها فى عقول التلاميذ كنه معين أو مادة لها طعم ورائحة

وفى منهج الادب نشأة الشعر البديعى ، وكلمة بديع ليس لها مدلول فى أفكار التلاميذ أيضا ، ولا يعرفون أهى شىء يؤكل أم يشرب ، وقد جاء فى رسالة للقاضى الفاضل إلى صديق له فى وصف قلعة حمص

« والشيخ قد شاهد ما يشهد به من كونها نجما فى سحاب ، وعقابا فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة إذا خضبها الاصيل كان الهلال منها قلامه الخ » ويعلق كتاب الأدب على هذا الكلام بأن القاضى الفاضل عمد « الى نوع من التجنيس من عقاب وعقاب . وعمامة وغمامه » الخ فما هو التجنيس أو الجناس لتلاميذ لم يطرقوا بعد علوم البديع . . والمصيبة الكبرى أن بعض المشغوفين بتشويه كتب الادب وضغطها الى مختصرات مطبوعة ذميمة عمدوا الى سوق عشرات من الأمثلة للجناس والطباق والتوزيه والاقتباس والتضمين وما شابه هذه الاسماء ليعرف التلميذ أمثلتها فقط دون أن يحس مدلولاتها مادامت نشأة الشعر البديعى مقررة عليه وبعد هذا التعليق الخاطف يمكننا بصدد هذا المنهج إثبات هذه الملاحظات :

(١) دراسة المتنبى وأبى العلاء لمثل هؤلاء التلاميذ ضياع لهما وفقد لشخصيتهما وتهاون منا باكبارهما وقد أكبرهما التاريخ فى الشرق والغرب معا وهما ولاشك فى هذا الوضع ضائعان كما ضاع البارودى وشوقى فى السنة الاولى وأحب أن تلاحظوا أن دراسة الادب تنتهى بالمتنبى وأبى العلاء الى هذه النقطة فقط فهما لن يعودا اليها مطلقا اللهم إلا المتنبى وأنه سيعود غريبا مهموما لفرقة السنة الخامسة فى قصيدته « مغانى الشعب طيبا فى المغانى » لتدرس بطريق الاختيار لا الالزام

(٢) حركة التأليف كلها بما فيها من تطور ونشاط وتعليل لها وبما فيها من اسماء أعلام ومسميات كتب ومحتوياتها إنما هى عقد وطلاسم على التلاميذ مادامت لاتتصل بنفوسهم من الوجهة الادبية ولا بأفكارهم من الوجهة العلمية

(٣) باب النثر وتطوراته وخصائصه ومميزاته لكل كاتب انما هو من قبيل

الالغاز والاحاجى والموازنة بين الكتاب بتلك الخصائص المرقة مثل « موازنة بين ابن العميد والقاضى الفاضل » ومثل ماجاء فى تعليق على رسالة لابن العميد الى بعض الامراء » من «هى مسجوعة وفيها ينطلق فى فقر قصيرة متتابعة فيها شىء من الاسهاب الذى يقتضيه المقام ، ثم نراه يعمد الى نوع من البديع وهو الطباق » الخ . هذه الموازنات والمفاضلات بألفاظ لايدركها التلاميذ وليس لها مدلول فى أذهانهم خير والف خير أن يستغنى عنها وأن نعفى التلاميذ من دراستها

هذه الملاحظات الخاطفة التى أثبتها أزاء هذا المنهج كافية لاثبات عيوبه ، وتلك العيوب كافية لحذف هذا المنهج نهائيا من السنة الثانية على أن يحل محله منهج آخر أقترحه فيما يأتى :

(١) ان يدرس تلاميذ السنة الثانية تقسيم الادب العربى عامة الى عصور أربعة أو خمسة على اختلاف وجهات نظر مؤرخى الادب ؛ على ان يوضح كل عصر توضيحا يسيرا جدا من الناحية الادبية فقط أى فيما يتعلق بالشعر والنثر ، وعلى ان يكون هذا التوضيح مظهرا لسمات كل عصر وخصائصه العامة الذى تميزه عن سواه من العصور

(٢) ان يحفظ التلاميذ من النصوص الادبية ما لايقل عن مائة بيت من الشعر مختارة من هذه العصور كلها وموزعة عليها بحسب أهمية كل منها وما لايقل عن ثلاثين سطرا من النثر مختارة وموزعة أيضا على هذا الاساس

(٣) أن يترجم للشعراء والكتاب الذين تختار لهم هذه النصوص - ولا يقل عددهم عن عشرة - تراجم مخففة موجزة غاية الايجاز حتى يتم للتلاميذ التعريف السهل المعقول بمن حفظوا لهم

وفى هذا المنهج الضخم فى شكله العام واليسير السهل فى مدلوله ومادته مايضمن لنا الالمام العام بعصور الادب كلها تمهيدا لدراسة الادب عصراً عصراً ، وفرشا ملائما لبدء توزيع العصور توزيعا منطقياً على مابقى من سنى التعليم الثانوى « وهى الثالثة والرابعة والخامسة »

منهج السنة الثالثة :

قبل تقرير منهج الأدب للسنة الثالثة أود أن ألفت أنظاركم إلى أن دراسة المناهج الحالية تسير سيرا عكسياً ، وتنفذ على وضع مقلوب ، أو بتعبير آخر نحن ندرس الأدب من ذيله لا من رأسه أو من مصبه لا من منبعه ، والوضع الطبيعى والمنطقى للعصور هو الابتداء بالعصر الجاهلى ثم الإسلامى إلى العصر الحديث لا العكس كما نصنع الآن ، وكل عصر من هذه العصور هو نتيجة فكرية وزمنية للعصر الذى قبله ، فدراسة الأدب الحديث للسنة الأولى تقتضى حتما التعرض للضعف العام فى العصر التركى، ودراسة حالة الأدب فى العصر العباسى الثانى حين تقسيم الدولة سياسيا يقتضى حتما التعرض له حين كانت بغداد عاصمة الدولة ، ودراسة ابن العميد مثلا تقتضى حتما التعرض لطريقة ابن المقفع ، وهذا خلط واضطراب فكرى ومعاندة للطبيعة الفكرية والزمنية ، ولهذا يخيل إلى أن التلاميذ وهم يدرسون هذه المناهج مقلوبة الوضع هكذا إنما يسيرون بصدورهم إلى الأمام وأعناقهم ملتفتة إلى الوراء، لهذا ، وتفاديا لهذا الاضطراب ، وتصحيحا للوضع المعقول اقترح أن يكون منهج السنة الثالثة كما يأتى : —

(١) دراسة العصر الجاهلى والاسلامى معاً والمتذكر لمنهج السنة الثانية المقترح فى هذا المقال يستريح جدا ويطمئن إلى ملاءمة اقتراح هذين العصرين للسنة الثالثة بعد التمهيد العام بدراسة تقسيم العصور كلها فى السنة الثانية .

(٢) ألا يظل الأدب الجاهلى على ماهو عليه الآن بل يحذف منه أو يخفف جدا على الأقل الأجزاء الخاصة بجغرافية بلاد العرب والقبائل ونشأة اللغة العربية وصلتها باللغات الأخرى وما شابه هذه النواحى مما لسنا فى حاجة ملحة إليه إلا بالقدر الذى له صلة ضرورية بالأدب .

(٣) أن تكون النصوص الأدبية المقررة على التلاميذ من هذين العصرين، وأن يدرس التلاميذ شاعرين دراسة مطولة أحدهما جاهلى والآخر اسلامى .

منهج السنة الرابعة :

(١) يدرس هؤلاء التلاميذ العصر العباسى بمهديه والعصر الاندلسى ، لأن هذين العصرين كتلة واحدة وبينهما من التشابه والتبادل الثقافى ما يجعلنا نجمع بينهما كوحدة لا تتجزأ.

(٢) حركة التأليف والمؤلفين والترجمة واسعة النطاق متشعبة النواحى فى العصر العباسى فيحسن التخفيف منها والاقتصار على ما ترجم أو ألف خاصا بالادب أو ما يتصل به ، أما ما يتصل باللغة عامة أو الحركة الفكرية الشاملة فلسنا فى حاجة ملحة إليه .

(٣) نصوص هذه الفرقة تكون من تلك العصور ، على أن يدرس التلاميذ ثلاثة شعراء دراسة مطولة أحدهم من العصر العباسى الأول والثانى من العصر الثانى « هو المتنبى » والآخر أندلسى .

منهج السنة الخامسة :

(١) يدرس تلاميذ هذه السنة العصر الحديث مستفيضا ، على أن يدخل فيه جزء من الحركة الادبية الحاضرة ، أو بمعنى أوضح على أن يكون فيه بعض من إنتاج كبار الادباء الاحياء ، مع دراسة شاعر واحد حديث دراسة شاملة .

(٢) أن يدرس التلاميذ « أبا العلاء » دراسة مطولة .

(٣) أن يدرس كتاب الادب التوجيهى الموجود بأيديهم الآن على أن تدرس منه هذه الفصول فقط وهى : الفصل الاول الخاص بمعنى الادب وتاريخ النقد الادبى . الخ والفصل الثانى الخاص بالنثر وأنواعه ، والفصل السابع الخاص بالشعر العربى وموضوعاته والفصل التاسع بمحتوياته والفصلان العاشر والحادى عشر الخاصان بأثر الادب العربى فى الادب الافرنجى الحديث وبوسائل اتصال الادب الاوربى بأدباء العرب المحدثين . . وماعدا ذلك وهو فصل الخطابة وفصل الفلسفة وفصل التاريخ فانها تحذف جميعها من المقرر ، ولا أريد فى هذه المناسبة وفى هذا المكان أن أتحدث عن هذا الكتاب بأكثر من عملية الحذف والابقاء .

هذا هو منهج السنة الخامسة المقترح وبه يتم تقسيم المناهج الادبية على سنى الدراسة الثانوية ، وعلى الضوء الذى اهتديت به اليكم فى هذا الحديث ، ولا أزعم أن هذه المقترحات هى غاية الاصلاح أو ما يقرب من الغاية ولكنها ان لم تصب المرمى فلا أقل من أن تصلح أساسا للتفكير والاصلاح !

مناهج الأدب للبنات :

هذه المناهج موزعة على أربع سنين فى مدارس البنين ، وعلى خمس فى مدارس البنات ، والحديث عن المناهج الادبية للبنات وما يجب أن تكون عليه ليس من السهولة واليسر أن نأتى عليه فى خلال هـــذه المحاضرة ، بل الحديث عن المناهج الادبية للبنات أمر جد خطير يتطلب بحثا واقيا وشروحا مستفيضة جديرة بمحاضرة خاصة بل بمحاضرات ، ولكى نحس ما يحتويه المنهج الادبى للبنات من فجائع فى تعليمنا للبنت وتثقيفنا إياها أن تعلموا أن على تلميذة الثقافة أن تحفظ أو تشرح قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

فإن قناتنا يا عمرو أعيت على الاعداء قبلك ان تلينا
إذا عض الثقاف بها اشمأزت وولتهم عشـــوزنة زبونا
عشوزنة إذا انقلبت أرنت تشق قفا المثقف والجبينا

وعليها أن تحفظ أو تشرح قوله :

كأن جماجم الابطال فيها وسوق بالامامز يرتمينا
و إذا ما عى بالاسناف حى من الهول المشبه أن يكونا
و قد هرت كلاب الحى منا وشذبنا قتادة من يلينا

وما شابه هذه الابيات أو ما يقرب منها فى هذه المعلقة وغيرها من النصوص الادبية التى لم يصادفها حسن الاختيار . وبعد فلندع الحديث عن منهج البنات إلى حديث آخر فى وقت قريب ، ولنعد اليكم بحديث آخر يتضمن ملاحظات عامة فى جوانب مهملة من الادب العربى تتضح فيما يأتى : ـــ

الجوانب المهملة فى الأدب

(١) فى الأدب العربى غزل اسمه الغزل العفيف ، أو غزل البادية ، أو شعر شعراء الغرام بين يدى الموت ، هذا الشعر هو الجانب الانسانى فى الشعر العربى عامة ، وهو الاشراقة الوحيدة التى جادت بها السماء فى تاريخ العرب ، بل هو النفحة العليا التى عطرت الشعر العربى وأمدته بروح الخلود والا كبار ، بل هو أقدس شعر روحى أكبرته أوروبا بأدبائها وشعرائها فترجموه إلى لغاتهم وحفظوا لشعرائه ذكرى عريقة ، هى رمز الانسانية الخالدة فى الوجود ... وفى هذا الشعر توجد القصة المسماة « بالدرام » ومن هذا الشعر تطل التضحيات النفسية البريئة وفى هذه التضحيات تتجمع عناصر القصص الفنى الصادق ، والاقلام العريقة أحوج ما تكون إلى تلك العناصر وأمثالها حتى تخرج من جمودها إلى طلاقة الفن وجمال القصة

ومن هذه الذخيرة الأدبية الرائعة المهملة فى الأدب العربى شعر المجنون وكثير وجميل وعروة بن حزام وتوبة وقيس بن ذريح وأمثالهم شعراء وشواعر ، ولقد فاضت بهم الدراسات الأدبية العامة دون أن يكون لهذه الدراسات ظل فى التأليف المدرسى ، ودون أن يتسرب مثل هذا الروح العالى إلى نفوس التلاميذ ، ولعل تسرب مثل هذا الشعر إلى الجو المدرسى جريمة فى اعتبارنا طالما هو شعر يصور العلاقة الوجدانية بين الرجل والمرأة ، ونحن نحول بين هذا الشعر وبين التلاميذ توقياً للداء ، وعندى أن هذا التوقى هو الداء نفسه ، فالقصص الوجدانى يبحث عنه الشباب بالغريزة ، ويشم رائحته بالفطرة ، ويتلمسه بين همسات الطبيعة وخلجاتها ، فاذا نحن لم نهيىء له هذا القصص بأقلامنا عفيفاً صادقا بريئا كما وقع فى حياة العرب الأدبية ، فهو لاشك واقع عليه فى المحيط الفكرى مصورا فى المجلات ومئات القصص المشوهة التى تنشر كل يوم .

(٢) ومن الجوانب المهملة والمتوقاة إلى حد كبير « الغزل » عامة فقلما تقع العين عليه فى مناهجنا الأدبية أو فى النصوص التى يختارها المدرسون ، والفكرة المعروفة أو الرأى السائد لدى المؤلفين والمدرسين هو توقى الغزل فى نماذج الشعر والبعد

عنه أو الحذر منه جهد المستطاع ، وكأنما الغزل في الشعر عامة «قلة أدب» أو ميوعة أو تحريض على شيء غير مألوف ، وأننا بهذا نتبع نظرية المنع أو الارشاد السلبي ولم تكن نظرية النصح أو المنع أو الارشاد في يوم ما إلا منتجة عكس المراد منها .

ولقد كنا ندرس عمر بن أبي ربيعة على نهج الكتاب الموجود في أيدي التلاميذ وعمر في هذا الكتاب لم يرزقه الله بيتاً واحداً من الشعر ، وقد رزقه الله في عالم الأدب ديوانا ضخما من الشعر ، لقد تحرز الكتاب ومنع وسكت فلم نتحرز نحن ولم نمنع ولم نسكت ، لقد قرأنا له ما شئنا أن نقرأ من غزله ، ولقد أمدنا كتاب العقاد الجديد بشعر كثير من ليالي عمر الخطرة ، وأؤكد لكم أن التلاميذ لم يتطرق اليهم الفساد حين استمعوا الى هذا الغزل ، بل أؤكد لكم أنهم اطمأنوا حين جوبهوا بتصوير الواقع ، الواقع الذي نحاول دائما أن نخفيه بحجة التوقي الذي هو خير من العلاج !

(٣) ومن الجوانب المهملة في دراسة الأدب العربي « القصة » ولا أريد بذلك دراسة فن القصة ، وإنما أعني قراءة القصة أو العمل على وجود القصة في دروس الأدب والمطالعة ، لقد قال مؤرخو الأدب ومازالوا يقولون إن الأدب العربي خال من القصة وعللوا ذلك بتعليلات هي صحيحة في اعتبارهم ، وأنا أقول إن الأدب العربي متخم بمادة القصة في كل عصر من عصوره ، وفيه مئات من القصص الساذج الذي لم تتناوله الأقلام بأنهاضه ورفع مستواه ، والعيب كل العيب أن مؤرخي الأدب لم يلتفتوا إلى هذه المادة القصصية فلينقلوها الينا في ثوب قصصي وإنما نقلوها أخباراً متفرقة في شتى الكتب ومختلف الأسفار ، وإذا كانت الاقلام العربية القديمة قد غفلت عن الانتفاع بهذه المادة فلا ينبغي أن تغفل عنها أقلام الكتاب والمؤلفين في هذا العصر ، واللجان المنوط بها التأليف المدرسي هي المسئولة عن هذا ، وهي التي على عاتقها أن تكمل هذا النقص في الأدب العربي ، وأن تتعب نفسها باستخراج قصص قصير وطويل لا لشخصيات الأدب فحسب ولكن لشخصيات التاريخ والسياسة والحرب وما أكثرهم وأعظمهم في عهود العرب المختلفة وما أحوجنا نحن إلى وجود أمثال هذه القصص بأيدي التلاميذ .

هذه الجوانب الثلاثة المهملة فى دراسة الأدب هى المظاهر الحية للآداب الراقية والأدب تتمثل حقيقته ومكانته فى هذه المظاهر الثلاثة أكثر من تمثله فى الدراسة الاخبارية الجافة التى تعلق بالأذهان والذاكرة دون أن تتسرب الى النفس أو تمتزج بالروح أو تخالط الذوق .

إلى هنا ينتهى حديثى عن معنى الأدب وعن الأهداف المقصودة من دراسته وعن المناهج بشكلها الحالى وما اقترحته لها من وضع جديد ، بقى بعد ذلك الكلام عن الادب وصلته بالنصوص الأدبية ، ثم عن الأدب وصلتـــه بكل من المطالعة والبلاغة والقواعد النحوية ، وسأعرض لكل من هؤلاء بايجاز أى إيجاز

النصوص الأدبية :

النصوص الأدبية هى مادة الأدب « الخام » وهى الغذاء الوحيد الذى نحس فيه طعم الأدب ، وهو وحده أيضا الظلال التى نرى فيها ألوان النفوس وطبائع الأفكار. وهى الوسيلة الوحيدة التى بها نصل إلى الأهداف المقصودة من دراسة الأدب والتى عبرت عنها فى أول المحاضرة ، لذا كان الاهتمام بها من جهة الاختيار وطريقة التدريس أمرا جوهريا لايقبل التهاون أو الانتقاص ، والنصوص الأدبية المقررة الآن فى المدارس الثانوية متمشية مع عصور الادب فى وضعها الحالى ، وهذا توفيق لاشك فيه ، واختيار النصوص من عمل جانبين ، جانب الوزارة وهو خاص بالسنتين الرابعة والخامسة ، وجانب حضرات المدرسين وهو خاص ببقية الفرق ، والذى آخذه على هذا الاختيار أمران .

(١) أن بعض المدارس يخطئها التوفيق فى الاختيار واليك مثلا للشريف الرضى من مختارات السنة الثانية

لغير العلا منى القـــلا والتجنب ولولا العلا ما كنت فى الحب أرغب

ولاحظوا التعبير بالسلب فى « لغير العلا » وبالتقديم فى « منى القلا » والقطعة كلها نفر ممجوج مبتذل فوق ما فيها من بعض فلسفات ترتفع جدا عن أفهام التلاميذ مثل :

وللحلم أيام وللجهل مثلها ولكن أيامى الى الحلم أقرب

ثم ما للتلاميذ الصغار والفخر ، ومالهم بشعور شخصى لشيخ كالشريف الرضى ، وليس لزاما على التلاميذ أن يحفظوا لشاعر مهما علت مكانته مالم يكن فى انتاج ذلك الشاعر ما يصلح أن يكون أدبا جميلا واضحا فى نفوس التلاميذ وأفكارهم . . . على أن للشريف الرضى فى كتاب المنتخب قطعة غزلية جميلة ، وله غيرها أيضا فى نفس الكتاب ، ولكن كيف يختار الغزل للتلاميذ ؟

وفى السنة الثانية تختار قطعة للمتنبى أولها :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

ومنها :

فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

أرأيت إلى هذه الفلسفات وإلى شرح بعض طباع الناس على ضوء التحليل المتعسر ، أرأيت الى هذه المعانى الدسمة تدرس لأطفال لايحسون منها إلا ألفاظها ، وقد لا يتمكن بعضهم من نطقها ؟

وفى السنة الثانية أيضا قطعة لأبى العلاء . أتدرون من أية قصيدة ؟ من رثائه لفقيد حنفى التى أولها :

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد

وموضوع هذه القصيدة يكفينى مهمة التعليق . . وفى هذا الاختيار ما يشعر بأننا نميل إلى إقرار الخلود لشخصيات خلدها التاريخ دون غيرهم وان كان الآخرون يستحقون هذا التخليد ، واننا تغرينا الشهرة وضخامة الأسماء ولو لم يكن فى انتاجها ما يفيدنا فى مهمتنا وأغراضنا من دراسة النصوص

فى كتاب المنتخب غير الشعراء الذين اختيرلهم الطغرائى ، والسرى الرفاء أكبر الوصافين ، وابن النبيه والشاب الظريف وصفى الدين ، وكل هؤلاء لهم من شعرهم مانجزم بأنه أقل عمقا وأسهل ادراكا بل وأشرق روحا من شعر المتنبى وأبى العلاء ، ولكن من يحفظ لابن النبيه ويترك المتنبى ، وللشاب الظريف دون ابى العلاء ؟

(٢) الأمر الثانى أننا نحافظ جدا على قصائد بعينها ومطالع بعينها لا نغير فيها

ولا نبدل ، بدليل أن معظم المدارس مشترك فى الاختيار ، ولم يكن ذلك من قبيل المصادفات ، ولا من قبيل اختيار الأحسن ، ولا هو حجة على التوفيق . ولكنه من قبيل التعبد أو المحافظة على قصائد أو مقطوعات بعينها كأن لم يكن فى الادب العربى غيرها ، أو كأن ليس ثمت شعر صالح للحفظ سواها . . ومن تلك « الكليشهات » المحفوظة المتعبدة هذه الامثال :

ودبابة تحت العباب . سائلوا الليل عنهم والنهارا ، ولما تداعى القوم واشتبك القنا ، صاحب الدولة ياشيخ الوزاة ، لغير العلا منى القلا ، إذا غامرت فى شرف مروم ، وجيش كجنح الليل . . ، واذا المطى بنا بلغن محمدا ، كذا فليجل الخطب ، وهكذا من القصائد التى شبعنا وشبع التلاميذ منها . . وقد يكون لنا بعض العذر اذا لم يكن هناك غيرها يشاركها فى الجودة والجدارة . . وأظن أنه من قبيل التطويل أن أتعرض للنصوص المختارة لكل سنة على حدة ، أولا لانها تختلف باختلاف المدارس ، ثانيا لان التعرض لمثل واحد كاف للجميع مادام الكل على نمط واحد

واختيار الوزارة لنصوص السنة التوجيهية فيه كثير من التوفيق لا ينكر ، أما اختيارها ولا سيما هذا العام للسنة الرابعة فاحسب أنه غير توفيق إذ أنها قررت دراسة معلقة عمرو بن كلثوم وحفظ ما لا يقل عن ستين بيتا منها ، ولعلها لا حظت أن المعلقات تحتوى غالباً جميع أغراض الشعر الجاهلى . فدراستها كافية فى الالمام بالأغراض ، ومغنية عن تعدد قطع النصوص . . وإنها بذلك لمبالغة ، وأن القول بأن المعلقات تحوى غالبا أغراض الشعر الجاهلى فيه إسراف وتوسع فى الحكم ، وانى لأستحسن أن يحفظ التلاميذ جملة قطع فى أغراض متنوعة من العصر الجاهلى وذلك أجدى من دراسة معلقة طويلة عريضة فيها اضطراب وتكرار ، ويبدو لى أن اختيار هذه المعلقة وقع ارتجالا دون مراجعتها بدليل أنها قررت بغزل جاء فيها ، ثم « وردت الأوامر » بحذفه ، ولكن بعد أن درست ومثلت خطرها الذى نتقيه من الغزل ، فى نفوس التلاميذ بل التلميذات ، وأكرر أن هذه المعلقة اختيرت ارتجالا بدليل أنها لم تحدد ولم تحقق ولم ترتب ولم يوضح صحيحها من زائفها ولم يكشف القناع عن كثير من الغموض فيها . . . ولقد رجعت فى شأنها إلى جميع الكتب التى

احتوتها فاذا جميعها مختلفة ، وإذا جميعها مضطربة .

ولكى نحقق الغرض من دراسة النصوص كمادة الأدب الخام يجب أن نعنى بما يأتى . . .

(١) الدقة فى الاختيار ، وأن الاختيار لشاق مضن ، ولكن مادة الأدب شعراً ونثراً لدينا أعظم وأكبر من أن يعيينا فيها الاختيار .

(٢) ألا نتعبد بشعر أشخاص بعينهم ، ولا بقصائد بعينها ، بل نختار الأحسن أيا كانت شخصية صاحبه .

(٣) أن نعفى التلاميذ من شعر الفخر والمديح والهجاء والنصح والارشاد إلا بقدر ، وأن نعنى باختيار الشعر المصور للحالات النفسية والوصف والقول العفيف وشعر الوطنية والاجتماع .

(٤) لا يكون هدفنا فى الاختيار « مصيبة » ، المغزى الذى يفسد علينا مهمتنا ويضطرنا إلى تقييد اتجاهاتنا وتكبيلها بقيوده ، والذوق إذا تقيد بهدف معين كثيرا ما يضل مواطن الجمال .

(٥) وإنى لأقترح مطمئنا أن نتجاوز القيود التى تقفنا وتلزمنا باختيار شعر الأموات إلى الانتفاع بشعر الأحياء فى هذا العصر ، وقد نجد فى هذا الشعر من الاشراق والملاءمة الروحية ما يملأ اختيارنا دسامة وقوة وصفاء .

صورة المدرس :

قلت فى أول الكلام لو استطاع مدرس الأدب أن ينتقل بتلاميذه فى دروسه إلى الطلاقة ، وأن يطوف وإياهم فى دنيا فسيحة من الجمال ، وأن يبتعد عن دنيا المعلومات وقيود الألفاظ ، لو استطاع هذا لنجح فى تأدية رسالته كمدرس ، ولنجحنا فى طريقنا إلى الأهداف المقصودة ، وكم أود ألا نعتبر الأدب مادة محدودة لها مبدأ ونهاية ، وأن علينا أن نبتدىء السير من أولها لنصل إلى نهايتها .

يجب أن ننسى نهائيا أن الادب منهج ، أو أنه جملة أشياء ، أو أنه جسم ذو أعضاء لكل عضو شكله وخصائصه ، ولو تذوقناه نحن على أنه جمال ينظر اليه من أية

ناحية ، ونعتز به فى كل وضع لتعرفنا أساليب دراسته ولنعمنا بهذه الاساليب فى حرية التصرف وبحبوحة النفس .

والتغاضى عن المغزى فى دراسة النصوص أول ما ينبغى للمدرس أن يصنعه ، والاسراف فى تشريح الألفاظ وصور الاساليب أول ما ينبغى أن يتجنبه ، وأن شرح الالفاظ بمعانيها اللغوية فقط لآفة من أشد الآفات فى إفساد الروح الادبية للبيت أو القطعة ، وأن للألفاظ — فوق ما لها من معان لغوية — لمدلولات نفسية عميقة هى التى تعبر عن صميم المعنى وهى التى توضح لنا طبيعة الاديب وتضعه فى محله من الضعف أو القوة ومن الاصابة أو الاخفاق .

وإن من أكبر المصائب أن ننزل على رغبات التلاميذ فى كتابة معانى الابيات بيتا بيتا ، أو فى شرح الكلمات اللغوية أو الصعبة على طريقة الجداول « الكلمة ومعناها » فان فى كتابة معانى الابيات منفردة أو مجتمعة تعطيلا لقوى التعبير فى التلاميذ وفقدا لشخصيتهم وخنقا لألسنتهم أو قطعا لها ، وحين يفهم التلاميذ منا نحن المدرسين ، أو حين نغنيهم نحن بشروحنا الادبية غير المحدودة بألفاظ أو جمل أقول حين نغنيهم نحن بأساليبنا المشوقة لن يتطلعوا مطلقا إلى طلب هذه الملخصات المبتورة ، وليس تلخيص المعلومات الادبية « فى دروس الادب » أقل أثرا سيئا من تقييد المعانى الادبية للنصوص .

وقراءة الموضوع الادبى فى الكتب أثناء الدروس — على أن هذا هو درس الأدب وكفى — أمر يحسن أن ننساه ، بل يجب أن ينسى المدرس حين يدرس موضوعا فى الأدب أن بيده كتابا فيه هذا الموضوع محددا بيده ونهاية ، فعليه أن يكيف موضوعه هو بالطريقة التى يراها . وعلى التلاميذ أن يراجعوا كتبهم فيما درس لهم ، ولقد ثبت أن نجاح الطريقة فى شرح الدرس كافية أو مغنية التلاميذ إلى حد كبير جدا عن الجهود المضنية فى الاستذكار .

دراسة الأدب والمطالعة :

المطالعة هى المادة الثانية أو المظهر الثانى للانتاج الادبى من ناحية ، أو هى أحد المنابع الادبية الذى منه نغترف المادة ونتعرف منه جمال الاسلوب والافكار ،

ونشم فيه رائحة الذوق والفن ، فصلتها بالادب أنها نفسها أدب ، أو أنها مظهر من مظاهره ، أوأنها سبيل الى تذوقه والتحبب اليه ، وبقدر ما تكون موضوعات المطالعة مشرقة صافية ، جذابة ممتعة بقدر ما يكون نجاحنا فى الوصول إلى فهم معنى الادب وإلى القرب من أغراض دراسته ، والكتب الموجودة الآن بأيدى التلاميذ لا يستطيع مدع أن ينكر جدتها أو تهذيبها ، ولكن الناقد الذى يريد أن يوضح الرابطة بينها وبين دراسة الادب يستطيع أن يجد فيها الكثير والكثير من المآخذ من حيث عدم ملاءمة بعض موضوعاتها لأفهام التلاميذ أولا ، ومن حيث قسوة الاساليب أو عنفها أو ابهامها ثانيا . وانى لباسط اليكم فى حدود الايجاز جدا بعض هذه الاساليب الموضوعة للسنة الاولى .

جاء فى موضوع العلم والثروة فى مصر « ثروتهم مقصودة على أجسامهم ، فان وصلت الى نفوسهم فهى لا تمس منها الا موضع الضعف والغرور ، تمس التيه والفخر لكنها لا تمس الذكاء ولا تمس عاطفة الرحمة بالبائس » .

هذا كلام جيد جدا ولكنه بعيد عن عالم الاطفال . وكلام الشيخ محمد عبده فى الشرف وذم الادعاء كله من هذا القبيل فوق ما فيه من تزمت وضغط وتسجيع ، ومما جاء فى رسالة البديع الى أحد الوارثين للسنة الثانية « خير المال ما أتلف بين الشراب والشباب وأنفق بين الحباب والاحباب والعيش بين الاقداح والقداح . والبوم واطرابا للكاس ، وغداً وحرباً من الافلاس » وكذلك ما جاء فى موضوع « انت انت الله » والانسان مدنى بطبعه لابن خلدون . وهذا كله فوق مستوى التلاميذ الى ما فيه من عنف الاساليب أحياناً ، وليس نقد كتب المطالعة من مهمتى فى هذا الحديث الا من الجانب الذى له صلة بالادب فحسب فكفى هذا .

غير أننى لن أتركها حتى أثبت ما أراه لازما لها مما يعيننا على مهمتنا الادبية واليكم ما أراه .

(١) اننا فقراء جدا فى كتب المطالعة ، وليس فى أيدى التلاميذ سوى كتاب واحد فى كل سنة ولا يخلو كل كتاب من كثير من العيوب أشرت اليكم ببعضها .

(٢) ينبغى ان يكون بأيدى التلاميذ ثلاثة كتب فاكثر للمطالعة ، اولها عام فى

كل موضوع كالكتاب الذى بأيديهم ، وثانيها قصة او قصص صغير لشخصيات ادبية من الشخصيات المقررة عليهم دراستها فى الادب ، وثالثها يحتوى سير بعض العظماء المصريين وغير المصريين « كل فى ناحيته الخاصة » .

(٣) ينبغى ان يراعى فى تأليف كتب المطالعة النواحى الادبية والرياضة النفسية والروحية والا يكون هدفنا الاول دس المعلومات الثقافية فى خلال الموضوعات .

بقيت كلمة لا بد منها فى كتاب المطالعة التوجيهية للسنة الخامسة ، وهو ان هذا الكتاب كتاب ادب ونصوص ونقد ادبى اكثر منه كتاب مطالعة للقراءة اليسيرة والفهم اليسير ، وتقرير هذا الكتاب الضخم اشعار بأن تلاميذ السنة الخامسة قد بلغوا مرحلة النضوج الذهنى وهم جديرون الآن بأن يقتحموا مرحلة البحث والتحليل والدقة والامعان . والامر فى هـــذا مبالغ فيه ، وليس من الحكمة ان نفرض فيهم رجالا ناضجين ، هذا ولان الكتاب قيم وجليل فانى اعتز بإبقائه بعد ان يحذف منه باب الخطب فى القديم ، وكذلك باب الرسائل والمقالات فى القديم .

صلة القواعد بالبلاغة والأدب :

القواعد النحوية هى قوانين صحة الكلام وسلامة الاساليب ، والبلاغة بأنواعها هى المرحلة الثانية بعد مرحلة الصحة والسلامة ، أو هى الفلسفة المعنوية لاوضاع العبارات « فى علم المعانى » أو التوسع والتجاوز فى صور الأساليب فى علم البيان ، أو التجميل والتزيين عامة فى علم البديع . . ولا يخرج القصد العام من علوم البلاغة مجتمعة عن تصوير قوة الاساليب وجمالها . . وصحة الكلام وسلامته من الاخطاء ، وقوة الاساليب وجمالها ووضوحها كل هؤلاء أول مظاهر التعبير الادبى الصادق السليم ، لهذا كان الذى يهمنى من تناول القواعد والبلاغة بالكلام فى دراسة الادب هى صحة التعبير وجماله ، لانها الناحية التى كان لها مساس بموضوعى

والذى ألاحظه أن الكتب التى فى أيدى التلاميذ كثيرا ما تأتى بأمثلة شعراً ونثراً فى خلال شرح قاعدة ، هذه الامثلة كثيراً ما ترتفع عن مستوى أفكار التلاميذ وليس لمعناها ظل من الموضوع فى نفوسهم ، إلا أنها مع هذا ثبتت فى الكتاب طالما أن فيها شاهدا على إثبات هذه القاعدة أو ما يشابهها ، أو أنها تصلح مادة

للتطبيق: وإليكم بعض هذه الامثلة فى قواعد السنتين الاولى والثانية دون تعليق !

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجىء اليها اللئام
وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام
انما الجلد ملبس وابيضاض النفـ ـس خير من ابيضاض القباء
أبدا تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا

ومن هذه « البضاعة كثير فى السنة الاولى » — واليك أمثلة أخرى للسنة الثالثة فيها مآخذ

بعيش مثل أطراف المدارى يخض من الدجى لمـما جمادا
ياحبذا يثرب ولذتها من قبل أن يهلكوا ويحتربوا
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
قوم هم الاكثرون قبض حصى فى الحى والاكرمون ان نسبوا

واليكم أمثلة أخرى فى البيان والبديع لا أقول الجأنا المنهج اليها ،ولكن أقول ماكان أغنانا عن تفاهتها وابتذالها كامثلة مختارة

والورد فى شط الخليج كأنه رمد ألم بمقلة زرقاء
ماقصّر النيل عن مصر وتربتها طبعاً ولكن تعداكم من الخجل
ولاجرى للنيل إلا وهو معترف بفضلكم فلذا يجرى على مهل
أسرع وسر طالب المعالى بكل واد وكل مهمه
وان لها عاذل جهول فقل له ياعذول مهمه

ومن المضحكات هذه الامثلة

زينت زينب بقد يقد وتلاه ويلاه نهد يهد
جيدها جيدها وظرف وطرف ناعس تاعس بخد يخد
قدرها قد زها وتاهت وباهت واغتدت واعتدت بخد يخد

وهذا طرف من أمثلة فى البلاغة ماكان أحراه أن يختفى ولا يظهر فى عالم التأليف لانه من عوامل التقذير والتبشيع للذوق الادبى والفن الادبى معا وهما ما نعتز به فى تدريس الادب

وبمناسبة الكلام عن القواعد والبلاغة أرى تحقيقا لغايتنا أن يخفف منهج السنة الثانية ، وأن نبدأ بدراسة البديع للسنة الثالثة . والبيان للرابعة . والمعانى للخامسة والاعتبارات فى هذا التعديل اظنها واضحة لديكم كل الوضوح

***

كلمة ختامية :

وقبل أن انتهى من حديثى يحسن أن الخص ما يمكن ان استخلصه من هذه المحاضرة فيما يأتى :

(١) تخصيص مدرسين للأدب والنصوص

(٢) ادخال أدب الاحياء فى مناهج الادب والنصوص

(٣) العناية بالجانب الفنى فى الادب وابرازه فى المناهج بصورة أوضح وأشمل

(٤) أن يكون بأيدى التلاميذ أكثر من كتاب واحد للمطالعة

(٥) احياء فن القصة فى التأليف المدرسى بحيث تستعمل فى دروس الأدب والمطالعة

(٦) تجنب الاختصارات والكف عن عمل جداول تحتوى معانى الكلمات اللغوية او الصعبة

(٧) أن يكون بكل مدرسة مدرس محاضر من مدرسى اللغة العربية يقوم بمحاضرات فى الادب مرة فى كل أسبوعين على التلاميذ

(٨) الاهتمام بالمكتبات فى المدارس ومدها بالكتب الناقصة فيها والاشراف الدقيق على استعمالها

وبعد فكلمتى الليلة ماهى الا محاولة فى الاصلاح وارجو ان يكون لها فى نفوسكم نصيب من القبول والسلام عليكم ؟

فايز العروسى